التَّعَالُـــمُ: فتنةٌ عظيمةٌ، ومصيبةٌ على الأمة جسيمةٌ (من نبوءات النُّبُوَّة المحقَّقة)

✍ **خديجة بنت سيد ممتاز الدين**[1]
asrakhadeja@gmail.com

لا شكَّ أن هذا العصر الذي نعيش فيه قد امتلأ بمُنكَرات الفتن وأباطيل السيئات، كما قد تنبَّأ بذلك النبيُّ عليه الصلاة والسلام، وغيرُ خافٍ على أحد أنه هو بعينه العصر الذي قال فيه عليه الصلاة والسلام: «القابضُ على دِينه كالقابض على الجمر» [2]، أو كما قال عليه الصلاة والسلام، وما ذاك إلا لعِزَّة المتمسكين بالشَّرع وقِلَّة العاملين به، في الوقت الذي كَثُر فيه المدّعون الكذّابون، المفترون الدجّالون، الذين أحسنوا ظواهرهم ترغيباً للناس زُوراً وكذباً في ما يقولون ويدّعون، بينما بواطنهم فيعلم العليمُ ما هم عليهم من سُوء النيّة وخُبث الطَّوية.

وإنَّ صدر المسلم الغيور ليجيش حميةً وغيرةً على دين الله وشرعِه حين أمثال هؤلاء، ويشتدّ غضباً ويتفطّر ألماً بل ويمتلئ بُغضاً وكراهيةً لهم – وهم الفقراء المفلسون – يخوضون في أشرف ما أنزله الله على وجه البسيطة، ألا وهو العلم؛ ذلك الذي أكرم الله به خِيرة خليقته وأفضلهم على الإطلاق ألا وهم الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم، ثم من وَرِثَهم من العلماء.

---

[1] قسم القرءان والسنة، أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة ملايا (ماليزيا).

[2] أخرجه الترمذي في **جامعه**، عن أنس بن مالك ﷺ، في أبواب الفتن، باب الصابر على دينه في الفتن كالقابض على الجمر، رقم الحديث: (٢٢٦٠)، وقال: "حديث غريب".

ولا يخفى على أي لبيبٍ ما أنعم الله به وأكرم هذه الصفوة البشرية من مكارم الأخلاق وعظائم الصفات ما جعلهم بحقٍّ خلفاء الله في أرضه، والمبلِّغون لشرعه، ثم يأتي هؤلاء المتعالمون – حُدثاء الأسنان، سُفهاء الأحلام – ليتشبّهوا بهم ظاهراً سُمعةً وشُهرةً ورِياءً، وهم من أشدِّهم مخالفةً لهم باطناً ديناً وعلماً وخُلُقاً، دَلاًّ وهدياً وسَمْتاً، وكشفاً للستار عن صفات هؤلاء، وبياناً لصفات عباد الله الأولياء من الأنبياء والعلماء؛ كانت هذه المقالة ليكون الناس على بينةٍ من أمر هؤلاء وهؤلاء...

وسأحاول فيها – بمشيئة الله تعالى – تسطيرَ ما وفّقني الله تعالى لكتابته في بيان "التعالم" مفهومه وماهيته، ومختلف صُوره ومظاهر، كما سأتناول بإذن الله صفات المتعالم الحِسّية والنفسية، ثم أقدِّم بعون الله علاج هذه القضية وكيفية التخلُّص منها، مؤيِّدةً كل ذلك بالنصوص الشرعية من الكتاب والسنة، والأقوال المأثورة لسَلَف الأمة، أهل التُّقى والصلاح والهمة، مَن بلَّغهم المولى تعالى في العلم أعالي القِمَّة...

وخيرُ ما أبدأ به المقال بذكر بعض الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وأقوال الأئمة الواردة في بيان "التعالم" وصورته، والتحذير منه، وما جاء من الوعيد الشديد لصاحبه، وإليك تلك الأدلة:

١– قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾[1].

أي كُلِّفوا عِلمها، والعمل بما فيها، ثم لم يعملوا بها؛ فكأنهم لم يحملوها، فهم كالحمير تحمل كتباً كبيرةً من العلم وتمشي بها ثم ليس لها إلا الكدّ والتعب، وكل من علم و لم يعمل فمثله مثل الحمار الذي ضرب الله به مثلاً في مُحكَم تنْزيله العزيز.

[1] الجمعة: السورة:٦٢، الآية: ٥.

٢- وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾[1].

فالقولُ بلا عملٍ مقتٌ خالصٌ لا شوبَ فيه، والمقتُ هو أشد البغض، وعن بعض السلف أنه قيل له: حدِّثنا، فقال: أتأمرونني أن أقول ما لا أفعل، فأستعجل مقت الله!!!

٣- وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾[2].

فيعرف ما فيه من المواعظ والزواجر ووعيد العصاة، حتى لا يجسر على المعاصي، بل قلوبهم مُقْفَلةٌ قاسيةٌ لا يُتوصَّل إليها ذكرٌ، وهذه الأقفال هي الرَّين والختم والطبع.

٤- ومما جاء في بعض صفات المنافقين[3] قوله تعالى:

﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾.

﴿إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

﴿وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ﴾.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

فانظرْ – رحمك الله – كيف وصفهم الله بأقبح الصفات، وأخبث الفِعال، بل شهد عليهم بها من الكذب، وسُوء الأعمال، والصُّدود عن الحقّ، والاستكبار، والفِسق، وأخيراً بُعدهم عن العلم والفقه.

---

[1] الصف: رقم السورة:٦١، الآية: ٢-٣.

[2] محمد: رقم السورة: ٤٧، والآية: ٢٤.

[3] في سورة المنافقين، رقمها: ٦٣، وأرقام الآيات: ١ إلى ٨.

٥- وفي البخاري[١] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «قبل الساعة سنون خداعاً، يُصَدَّق فيهن الكاذب، ويُكذَّب فيهن الصَّادق، ويُخوَّن فيهن الأمين، ويُؤتَمن الخائن، وينطق فيهن الرُّوَيْبِضَةُ».

قالوا: "الرويبضة" هو: الرجل التافه الحقير ينطق في أمور العامة، كأنه ليس بأهل أن يتكلَّم في أمور العامة فيتكلَّم.

٦- وعن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمَاً لِغَيْرِ اللهِ، أَوْ أَرَادَ بِهِ غَيْرَ اللهِ؛ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[٢].

٧- وعن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لاَ تَتَعَلَّمُوْا الْعِلْمَ لِتُبَاهُوْا بِهِ الْعُلَمَاءَ، وَلاَ لِتُمَارُوْا بِهِ السُّفَهَاءَ، وَلاَ تَخَيَّرُوْا به الْمَجَالِسَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ؛ فَالنَّارُ النَّارُ»[٣].

٨- وعن ابن كعب مالك أبيه ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، وَيَصْرِفَ بِهِ وُجُوْهَ النَّاسِ إِلَيْهِ؛ أَدْخَلَهُ اللهُ النَّارَ»[٤].

٩- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ عِلْمُهُ»[٥].

١٠-وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْماً مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ ﷻ، لاَ يَتَعَلَّمُهُ إلاَّ لِيُصِيْبَ بِهِ عَرَضاً مِنَ الدُّنْيَا؛ لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، يعني: رِيْحَها[٦].

---

[١] أخرجه الإمام أحمد في المسند، برقم: ٨٤٤٠.

[٢] أخرجه الترمذي في الجامع، في أبواب العلم، باب فيمن يطلب بعلمه الدنيا، برقم: ٢٦٥٥.

[٣] أخرجه ابن ماجه في السنن، في المقدمة، باب الانتفاع بالعلم، برقم:٢٥٤.

[٤] أخرجه الترمذي في الجامع، في أبواب العلم، باب فيمن يطلب بعلمه الدنيا، برقم:٢٦٥٤.

[٥] أخرجه الآجري بسنده في "أخلاق العلماء"،برقم ٦٦، سناد شديد الضعف فيه عثمان بن مقسم البري وهو متروك الحديث.

[٦] أخرجه أخرجه أبو داود في السنن، في كتاب العلم، باب طلب العلم لغير الله تعالى، برقم: ٣٦٦٤.

١١- وقال ابن مسعود ﷺ: "لا يزال الناسُ بخيرٍ ما أخذوا العِلم من أكابرهم، فإنْ أخذوه عن أصاغرهم وشرارهم؛ هلكوا".

فإن لم يكن هؤلاء المتعالمون الجهلة هم الأصاغر الأشرار فمَن إذن ؟؟!!

١٢- وقال مالك بن أنس رحمه الله تعالى: "بكى ربيعة يوماً بكاءاً شديداً، فقيل له: أمصيبة نزلت بك؟، فقال: لا!، ولكن اسْتُفتي مَن ليس بعالم، وظهر في الإسلام أمر عظيم".

١٣- ورُوي عن مكحولٍ أنه قال: "تفقُّه الرعاع فساد الدين والدنيا، وتفقُّه السفلة فساد الدين".

١٤- ورحم الله ابن رُشد إذ قال: "كان العلم في الصدور واليوم صار في الثياب"[١].

١٥- وفي "المتعالم" يقول أبو بكر الآجُرِّي في كتابه القيِّم "أخلاق العلماء": أنه "يَعُدّ نفسَه في العلماء، وأعماله أعمال السفهاء، قد فتنه حبُّ الدنيا، والثناء والشرف والمنْزلة عند أهل الدنيا"[٢].

وفي ضوء هذه النصوص الشرعية، ومن خلال معانيها المرعية، نبيِّن مفهوم "التعالم"، ونرقُم ماهيته...

فـ "التعـــالُـــم":

١- حلية كل جاهل كذاب، متصف (برقة الديانة، ووهن الاستقامة، وضعفِ التحصيل)[٣]، والاكتفاء بأقل القليل من الدين والعلوم والفضائل؛ (لنيل الدنيا الزائلة ومظاهرها الفانية)[٤].

---

[١] أبو زيد، بكر بن عبد الله، **التعالم وأثره على الفكر والكتاب**، ص: ٢٦.

[٢] الآجري، أبو بكر محمد بن الحسين، **أخلاق العلماء**، ص: ١٨١.

[٣] أبو زيد، بكر بن عبد الله، التعالم وأثره على الفكر والكتاب، ص: ٢٦.

[٤] المرجع السابق: ص: ٢٦.

٢- "التعالم" سلاح أغمار ركبوا للعلم الصعب والذلول ظانين أنه يُنال بالراحة ولّما يملؤا منه الرَّاحة[١].

٣- "التعالم" لباس الأصاغر الأحاقر، الذين لم يجدوا لنيل العلا سبيلاً، فاتخذوه ذريعةً ووسيلةً، وهو أوجز الطرق وأقصرها وأحقرها لنيل مقاصدهم وبلوغ مآربهم.

٤- "التعالم" كسوة من تعرَّى عن الفضائل، وتحلَّى بالرذائل.

٥- "التعالم" جريمة عظيمة؛ لأنه تلاعبٌ بعقول الأمة وعلومها، وحربٌ لفتيتها الناشئة وتراثها الأصيل.

٦- "التعالم" بوابة الدخول على القول على الله تعالى بلا علم، وهذا أصل الشرك والكفران، وأساس البدع والعصيان، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢].

٧- "التعالم" كما قال الشيخ بدر العتيبي – حفظه الله –:"إن من شرِّ الأسقام، وأقبح صفات الأنام، وخاصة طالب العلم: (التعالم) في مظهره ولسان حاله ومقاله، ولا يُشَكّ أن مبدأ التعالم وادِّعاء العلم لمن لا يعلم ممقوت عند كل عاقل، وهذا لا خلافَ فيه كما لا يخفى. فالتعالم صفة نفسية تحمل صاحبها على تجشم ما ليس كُفؤاً له، وتقمُّص شخصية من هم أجل منه، والتكلم بلسانهم، حالاً ومقالاً. فإن زاد على ذلك تمجيدَ الذات، ومدح القدرات، ودعوى العلم والتحقيق؛ كان أوضح بيانٍ لهذه الصفة الدنيئة"[٣].

---

[١] أبو زيد، بكر بن عبد الله، التعالم وأثره على الفكر والكتاب، ص: ٢٦.

[٢] الأعراف: رقم السورة: ٧، والآية: ٣٣.

[٣] انظر: " صور التعالم"، **شبكة الإمام الآجري**، http://www.ajurry.com

٨- "التعالم" كما قال العلامة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان: "معناه: ادِّعاء العلم نتيجةً للاقتصار على مطالعة الكتب، ومثل هذا يُقال له: الجاهل المركَّب، وهو الذي يجهل ولا يدري أنه جاهل، بل يظن أنه هو بعينه: العالم"[١].

٩- و"المتعالم" هو من خلع ربقة المحاسن من عنقه، وتزيَّن بمستهجنات القبائح، ظاناً أن حقيقته لن يعلمها أحد، ولم يدر المسكين أن الله له بالمرصاد، وإن استدرجه بالنعم والأموال، ولتعالمه جهابذة عما قريب سيكتشفون تعالمه، ويُخبرون الخلق عن جوهره وحقيقته.

١٠- المتعالم في نفسه عبقري كبير، وعالم نحرير، ومؤلف قدير، ومحقق جدير، لكنه لدى أهل العلم والفن والدراية والتخصص؛ سارق العلم حقير، جاهل مغتر ضعيف، مخادع غاش لنفسه وغيره.

تلك عشرة كاملة، سقتُها لك لتعلم أن هذا هو "التعالم"...

أرأيتَ ما حقيقته؟

ومدى خطورته؟

وعِظم جريرة المتعالم وجريمته، وجنايته على نفسه وعلى أمته، ذلك العاري الخاوي عن كل سمو وفضيلة، المتلبس بالانحطاط والرذيلة...

وقد انتشر هذا المرض الخبيث والداء الوبيل بُعيد عهد الرسول ﷺ، وخاصةً بعد أن انكسر قفل الحق، ومات الفاروق ﷺ، فظهرت هذه الفتنة الصماء، والنقمة السوداء، والبلية الشوهاء، والمصيبة النكراء، وأول ما ظهرت كانت على صورة الخروج على علماء الأمة، وأئمة الدين بتأويلات باطلة ومفتريات خبيثة...

---

[١] انظر: "التعالم وآثاره الخطيرة على الأمة "، شبكة سحاب السلفية، http://www.sahab.net

تلكم ما قام به الرويبضة الخوراج، أول خرِّيجي مدرسة "التعالم" المشؤومة، الذين ما فهموا، ولا فَقِهوا آية ولا حديثاً، فكفَّروا جبال الإيمان، صحابة رسول الله ﷺ، وقتلوهم وقاتلوهم، ألا لعنة الله تترى على أولئك الظالمين، قتلة عثمان وعليٍّ وطلحة والزبير وغيرهم من الصحابة الأكابر الغُرّ الميامين، رضي الله عنهم وعن جميع من تبعهم من علماء الأمة الربانيين، وقد تنبأ النبي ﷺ بظهور هؤلاء، كما جعل ذلك من علامات الساعة الصغرى، وأشراطها المرتقبة، حيث قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلمَ بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً؛ اتخذ الناسُ رؤوساً جهالاً، فسُئلوا، فأفتوا بغير بعلم، فضلُّوا وأضلُّوا»[1].

وقال عليه الصلاة والسلام: "إنَّ مِن أشراط الساعة أن يُلتَمس العلم عند الأصاغر"[2].
وفي حديث آخر: "إنَّ مِن أشراط الساعة أن يَظهَر القلمُ"[3].

ومن معجزات مشكاة النبوة هذه أن قد فشى القلم وارتشى، واتخذ صوراً متنوعةً، وأشكالاً مختلفة، فتعددت ظواهر التعالم، وتكاثرت مظاهره، فمنها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر والاستقصاء:

أولاً: "التعالم" في الفتيا:

فترى المتعالم يشرع في الجواب قبل استكمال السؤال، ويلتفت يميناً وشمالاً، ويحف ويرف، على الحضور، مختالاً بجوابه الإنشائي المهذول، بما يتوقف فيه شيوخ الإسلام، وأئمته الأعلام، قال بِشر الحافي رحمه الله تعالى: "من أحب أن يُسأل فليس بأهل أن يُسأل"[4].

---

[1] أخرجه البخاري في **صحيحه**، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، في كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، برقم: ١٠٠.
[2] ذكره الألباني في "**السلسلة الصحيحة**" (٣١٦/٢)، وقال: "وهذا إسناد جيد".
[3] وهو اختصار للحديث الذي رواه عمرو بن تغلب ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ من أَشراطِ الساعةِ، أَن يَفِيضَ المالُ ويَكثُرَ، ويَظهَرَ القلمُ، وتَفْشُوَ التِّجارةُ» . أخرجه الإمام أحمد في المسند، برقم: ٢٣٤٤٩.
[4] أبو زيد، بكر بن عبد الله، التعالم وأثره على الفكر والكتاب، ص: ٢٩.

ثانياً: "التعالم" في القضاء:

فالقضاء سِرُّ الدولة، وعنوان قوتها وهيبتها، ورمز شرفها، وكرامتها، فإذا دخله متعالِمٌ بتصرفاته السقيمة، ومعلوماته الضئيلة، وعقليته الهزيلة؛ اضطربت في البلاد الأحوال، وتتابعت عليها الأهوال[1].

ثالثاً: التعالم في مجالات العلم والمعرفة المختلفة:

وهذه من كبرى البوابات التي وَلَج به المتعالمون إلى عالم "التعالم"، حيث دخل منها الكذبة التافهون، والجهلة الفاشلون، في التعليم والتحصيل – بله التحقيق والتأليف – فلا تَسَلْ عن شدة ضعفهم في تحصيل العلوم ونيل المعارف؛ ولأجل ذا سلكوا هذا المنحى الخطير للظهور والبروز، حيث أنهم عالجوهما فما وجدوا إليهما سبيلاً، إلا بهذا الطريق القصير الحقير، وقد قيل: "إذا كنت خاملاً فتعلَّقْ بعظيم"، بيد أنهم لا يدرون بتأليفاتهم الساذجة – من الناحية العلمية – وتحقيقاتهم التافهة التي لا تعني شيئاً سوى تسويد الأوراق وتحبير القراطيس، لا يسجلّون به إلا عاراً، ولا يُبدون بها إلا شناراً... وقد أتعبوا العلماء في افتراع مفترياتهم، وتفنيد مزاعمهم، والتعقيب على ما يُسمّونه من تأليفاتهم وتحقيقاتهم، وهؤلاء في الحقيقة (لم يستضيئوا بنور العلم، ولا لهم وقع في النفوس، ولا لعلمهم كبير نتيجة من العمل، وإنما العالِم من يخشى اللهَ تعالى)[2].

أما بالنسبة لصفات هؤلاء المتعالمين فنجد أنها بعينها بعض صفات المنافقين، التي حذَّر منها رسول الله ﷺ في قوله: "آية المنافق ثلاث، إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتُمن خان"، وفي رواية بزيادة: "وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر"، حيث أن من صفاتهم التي ذكرها أهل العلم في ثنايا كتبهم وأقوالهم:

---

[1] المرجع السابق: ص: ٩٨.

[2] المرجع السابق: ص: ٩٨.

١: الكذب:

وهو الادِّعاء، أي ادّعاء العلم وهو منه خواء، قال الخطيب البغدادي: "وقد رأيت خلقاً من أهل الزمان ينتسبون إلى الحديث، ويعدون أنفسهم من أهله، المتخصصين بسماعه ونقله، وهم أبعد الناس مما يدَّعون، وأقلِّهم معرفةً بما إليهم ينتسبون"[١]. وقال العُرْفِي: "وتجاسر فئام على الكذب الصراح، والكذبُ شرّ غوائل العلم، وحملوا الشاذَّ ومن حمله؛ حمل شراً كثيراً، فربضت في قلوبهم الشقوتان: شقوة الكذب، وشقوة الشذوذ، نسأل الله السلامة والعافية"[٢].

٢: فُحش القول:

فمن صفات المتعالم الشغب بلسانه والتطاول، والتسلط على العباد بداء الفحش والبذاءة في الكلام، وهو كما ذكر الشيخ بكر عبد الله: "المتطاول كبت الله باطله، يسل لسانه على العباد، فيتقيه المؤمنون ويترفعون عن مناضلته... أما هذا السليط المتسلط فهو مبتلى — ويعلم الله – بأعظم بلية، وهي موت قلبه، ورؤيته القبيحَ حسناً،وذهاب رصيده من القبول له في الأرض"[٣].

وجاء في موضع آخر: "أما في هذا الزمان فقد ابتلي أهله بلسن جهال ابتدعوا العلم، وكافحوا عن دعواهم بالصلف واللسانة، والشغب والشراسة، وإن لم يكن مع اللسان عقل يحجزه دل على عيب صاحبه، فترى الفرد من هذا الصنف المريض يخوض في غمار العلم، بواحدة يسمعها، وثانية ينتحلها، وأخرى يدعى قراءتها، ثم ويا للخيبة يضفي على نفسه من الألقاب، ويجند نفسه للكف عنها والاحتفاظ بها

---

[١] الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، ص: ٧.

[٢] العرفي، محمد سعيد، **سر انحلال الأمة العربية ووهن المسلمين**، ص٤٨، بواسطة "التعالم وأثره..." ص: ٢٥.

[٣] أبو زيد، بكر بن عبد الله، التعالم وأثره على الفكر والكتاب، ص: ٩١.

ما هو شغلُه الشاغل لأنها رسوله إلى العامة، وأحبولته التي يصطاد بها ما يحمل همه من عرض زائل وجاه موهوم، لكنه عند ذوي الألباب مفتضح منبوذ"[1].

٣: عدم الأمانة العلمية:

فترى "المتعالِمَ" مِن أبعد الخلق عن أمانة الدين، وأمانة العلم، وأمانة القلم، وأمانة الخلق، يسرق من هاهنا وهاهنا، وينتحل من كتاب هذا أو ذاك، ثم ينسب كل تلك الجهود (أي جهود السرقات العلمية) إلى نفسه الشريفة، وفيه يقول الشيخ بكر بن عبد الله: "ومن الادِّعاء الكاذب الحقير أيضاً شغفهم بالتأليف، وهذا عين تشيخ "الصَّحفية"؛ إذ تعلُّمه حقيقة "مجذوباً" – وهو من لا شيخ له — فتراه يخوض غمار التأليف في ما وصل إليه الأكابر بعد قطع السنين في مثافنة الأشياخ، ومسك الدفاتر، ثم يأتي هذا "المجذوب الطري" ويثافن الأشياخَ في مؤلفاتهم والمطابع تُفرز كل يوم قراطيس ورزماً، نعوذ بالله من هذه الفتنة الصماء.

والتأليف المقبول لا بد أن يكون بقلم من اتسعت مداركه، وطال جده وطلبه، والصنعة بصانعها الحاذق، ومعلمها البارع.

ومن علامات تعالمهم البارزة في مؤلفاتهم المنحولة ركاكة الأسلوب، وخلوه من أدنى مقوِّمات الفصاحة بله البلاغة، وضعف اللغة وانحلالها وتفككها؛ وذلك لأن "المتعالم قاموسه غير محيط، وقابوسه غير وسيط، ونصيبه من اللغة شماطيط، والمريض بهذا التعالم يعلم أنه كاذب، مخاتل لنفسه مخادع، لكنه يسعى لبناء مجد موهوم، فيسرق كتابَ هذا، ويشتري جهدَ ذاك، ويُخرج للناس عشرات المؤلفات وهو مفلس منكود، ومفتضح منبوذ"[2].

---

[1] أبو زيد، بكر بن عبد الله، التعالم وأثره على الفكر والكتاب، ص: ٩٢.

[2] أبو زيد، بكر بن عبد الله، التعالم وأثره على الفكر والكتاب، ص: ٩٢.

٤: مخالفة العمل للقول:

قال الإمام علي بن أبي طالب ﷺ: "هتف العلم بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل"[١].

ويقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾[٢]. لذا فالمتعالمون من أبغض الناس إلى الله، وكذلك العباد لبُغض الله تعالى ومقته لهم.

ويقول رسول الله ﷺ: «يُؤتَى بالرَّجُلِ يومَ القِيامَةِ فيُلقَى في النَّار، فتَندَلِقُ أقتابُ بطنِه فيَدُوْرُ بها كما يَدُوْرُ الحِمارُ في الرَّحَى، فيَجتمِع إليه أهلُ النَّارِ فيقولون: يا فلان! مالَكَ! أَلَمْ تَكُنْ تَأمُر بالمعروف وتَنهَى عن الْمُنكَر؟، فيقول: بلى!، كنتُ آمُرُ بالمعروف ولا آتِيْهِ، وأنْهَى عن الْمُنكَر وآتِيْهِ»[٣].

ويقول الشيخ بكر عبد الله: "وأما التفريط في العمل فكم رأى الراؤون وجوهاً يعلوها ذل المعصية، والافتقار إلى الصمت الصالح، والهدي الحسن، فكم من متصدر للعلم في أي من مجالاته وهو قرندل، متختم بالذهب، شارب للتبغ، صانع للقزع، بل لا يشهد الصلاة جماعةً إلا لماماً"[٤].

٥: الكِبر والغرور والعُجب والتيه:

يقول الخطيب البغدادي: "وهم مع قلة كَتْبهم له، وعدمِ معرفتهم بهم؛ أعظم الناس كبراً، وأشد الخلق تيهاً وعُجباً"[٥].

---

[١] أخرجه الخطيب البغدادي في "**اقتضاء العلم العمل**"، ص: ٣٦.

[٢] الصف: السورة:٦١، الآية: ٢-٣.

[٣] أخرجه مسلم في الصحيح، في كتاب الزهد، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله، برقم: ٢٩٨٩.

[٤] أبو زيد، بكر بن عبد الله، التعالم وأثره على الفكر والكتاب، ص: ٣٥.

[٥] الخطيب البغدادي، نقلاً عن "التعالم وأثره على الفكر والكتاب، ص: ٦٢.

فهذه هي شخصية المتعالم المؤذية الثقيلة، البغيضة الكريهة، تتقذى من رؤيته الأبصار، وتمج سماع حديثه الآذان، وتأنف من مخالطته الأنفس والقلوب، ويتقذر من مجالسته ذوي البصائر والألباب.

لكنه لدى جهلة العوام محلّ فخرٍ وإعجابٍ إذ يجيش أمامهم دوماً بتعالمه الكذاب؛ فيهتفون له ويصفّقون، إعجاباً منهم بعلمه "المكذوب" وطرباً... وسبحان من له في خلقه شؤون.

بينما يمضى لدى أهل العلم مذموماً ممقوتاً، وكيف لا يكون ذلك وهم أحق من عرفوا خُبث حقيقته، وسفالة جوهره، ودناءة طبيعته، وسوء جبلته، وأجدر بها من قائدة جريئة لانتهاك حرمات العباد، ونشر الفساد فيما تطؤه أقدامها من بلاد، في إقدام جريء لسرقة كتاب هذا، وانتحال مؤلفات ذاك، أو بسرقة أبحاث بأكملها من كتاب ثم إفراد طباعتها بعد تغيير العنوان، وتبديل طفيف لما يُستطاع من تبديله، (ودوماً يكون ذاك إلى الأسوأ فالأسوأ)، وتحريف النصوص بأسلوب ركيك لا يقوم به مبنى ولا ينتظم له معنى، ثم الرسم على طرته تأليف فلان، أو إعداد فلان، ملقباً نفسه بألقاب جوفاء هي في نظره غاية في الأهمية والفخامة والشرف والكرامة، وسرُّ ما تهويه نفسه وتشتهيه وتطمع فيه وترنو إليه من الذيوع والاستفاضة ونيل الثناء والشهرة، بينما هي في رأي من يعرفه غاية في الخُبث والدناءة...

وبعد... فهل لي أن أناشد أهل الحل والعقد لأن يقوموا بواجب الإصلاح... وهل لي أن أتقدم إليهم بهذا الاقتراح، حتى لا يلج ويتبجح في قنوات العلوم والمعارف دخيل: ذو بضاعة حقيرة مزجاة ديناً وعلماً وخُلقاً، حيث يجب على الجامعات – وخاصة في مراحل الدراسات العليا – وضع مقاييس علمية دقيقة، ومعايير عالية الجودة للقبول في أقسامها العلمية المختلفة، وخصوصاً في التخصصات الدينية الشرعية التي يظنها هؤلاء المتعالمون بأنها سهلة ميسورة، وأن الدراسة فيها أمر هين لين، بخلاف التخصصات الأخرى والتي يرون

الدراسة فيها أمر شاق عسير، وحصول الشهادة العلمية منها أمر صعب المنال، بينما الشيء نفسه ميسور ومتاح في التخصصات الشرعية، وإن حصول المتعالم على مقعد رخيص في الجامعة لأجل الحصول على شهادة رخيصة ولقب علمي زائف، ثم حصوله على كرسي وثير، ومال وفير لهو أكبر دليل على ضعف وانحطاط المستوى العلمي لتلك الجامعات المانحة لهذه الشهادات التجارية والألقاب الزائفة...

ولنا في كبرى الجامعات الإسلامية العريقة خير قدوة وأفضل أسوة... في انتقاء وترشيح الطلبة الدارسين في مرحلة الدراسات العليا الشرعية... كذلك في تخيير وتعيين أفضل الأساتذة المشرفين، الأكفاء المتخصصين، لتُكتَب في إشرافهم وتحت عنايتهم رسائل جامعية عالية الجودة والمستوى، فائقة المبنى والمحتوى.

وكل هذا في الحقيقة مسؤولية عظمى تقع على عاتق أهل الحل والعقد من الحكام والعلماء.

أما بالنسبة لعلاج هذه البلية من قِبل المتعالم نفسه، فخير ما وجدت بشأنه فيما ذكره الداعية المصري الشيخ محمد حَسّان – حفظه الله – في خطبته المعنونة بـ "فضل العلم وخطورة التعالم":

أولاً: إخلاص العمل الله وصدق النية، والإخلاص هو تصفية العمل بخالص النية من جميع شوائب الشرك.

ثانياً: الاتباع.. ففيه الحقّ، والصِّدق، والصواب.

ثالثاً: طهارة القلب والنفس والجوارح من الذنوب فإن من آثار الذنوب والمعاصى حرمان العلم كما قال الحافظ ابن قيم الجوزية.

رابعاً: التواضع وعدم الكبر، والجلوس بين يدى العلماء.

خامساً: كثرة التضرع إلى الله ﷻ، والانكسار بين يديه، إذ الفضل منه سبحانه: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[1].

وأخيراً... علِّقْ قلبك بالله ولا تعلِّقه بالمخلوقين، فإنهم وإن اجتمعوا بالثناء عليك لن يقربوك من الله، إن كنت بعيداً عنه، ولو اجتمعوا على ذمك فلن يبعدوك عن الله إن كنت قريباً منه، فاقطع الطمع فى الخلق وعلق قلبك بالخالق سبحانه، فمن توكل عليه كفاه، ومن اعتصم به نجاه، ومن فوض إليه الأمر هداه، (أليس الله بكاف عبده)[2].

فهذه خطوات ناجعة للاستشفاء من هذه البلية الفاجعة لمن تمسَّك بها وأخذ، فإنها تهديه بإذن الله إلى صراط الله المستقيم، ودِينه القويم... وبهذا أخيراً أكون قد وصلت إلى نهاية المطاف، وقبل أن ألقي عصا التِّرحال، سأنقُل للقارئ بضع عبارات رائعة بهية، وألتقط دُرَرًا نيِّرةً سَنِيَّةً من كتاب "التعالم وأثره على الفكر والكتاب" وذلك لنفاستها ورونقها، وترغيباً للقارئ، وتشويقاً له لمطالعة الكتاب وقراءته، فهو حقّاً جديرٌ لأن تتدواله أيدي طلبة العلم والحقِّ، ويطالعه أهل كل تخصُّص وفنّ، بل حقيقٌ لأن يُدوَّن بماء الذهب يتناقله الأجيال جيلاً بعد جيل، وهو للعالم العَلَم العلامة، البارع الأديب الأريب، صاحب القلم البديع الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد، رحمه الله تعالى وسقاه من سلسبيل الجنة:

١- قال ﷺ في بيان أَحَقِّيّة اعتلاء الذِّروة، وبلوغ العَلياء: "سيبقى تسنُّمُ الذِّروة لإشادة المجد، لشُدَاة العِلم والفضائل في كل بادٍ وحاضرٍ"[3].

٢- وقال بعد أن بيَّن صفاتِ علماء الدين الربانيين: "فهؤلاء الأئمة مع جلالة قدرهم، ووافِر حُرمتهم، وضخامة مسؤولياتهم؛ ذابتْ هذه الظواهر في عظيم تَقْواهم وما نَقَصهم، بل بَقُوا عناوين افتخار لهذه الأمة، لَمّا كسر سلطانُ التقوى لديهم تلك

---

[1] الحجرات: رقم السورة: ٤٩، والآية: ١٧.

[2] انظر: **"فضل العلم وخطورة التعالم"**، شبكة التوحيد، http://altawhed.yoo٧.com

[3] أبو زيد، بكر بن عبد الله، التعالم وأثره على الفكر والكتاب، ص: ٣٧.

الحواجز المادية والولايات العارضة". وقال مستدلاً بكلام شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: "والمنصب والولاية لا يجعل مَن ليس عالماً مجتهداً، عالماً مجتهداً"[1].

٣- وقال في المفاضلة بين "المتعالم" وبين مَن يَكسِح الطُّرقات والشوارع: "وإنَّ الكسَّاح الصادق أسعَدُ مِن المتعالم الكاذب"[2].

٤- وقال مبيِّناً مكانةَ "المتعالم" ومنْزلته في المجتمع: "وكم في الحضور مَن يَمقُته ويَقلِيه، ويُبغِضه ويَشِيْنُه، وقد جُرِّبَ على هذا الصِّنف أنه لا يُنشَر له القبول في الأرض، ثقيلَ الظِّلِّ في الطُّول والعرض، مُجالَستُه حُمَّى الرَّبْعِ، ورؤيته جَذَعٌ في العين، وحديثُه سَمْجٌ (مغسولٌ بالصابون)، أعان الله أرضاً أقلَّتْه، ورحم الله تُرْبَةً وارثْه. فاحْذَرْ أن تكون هذا الملبَّس المفلس"[3].

وأختم هذه الأقوال الذهبية الصادقة بما أورده من شِعر رائق نفيس للإمام ابن قَيِّم الْجَوزية:

هذا وإنِّي بَعْدُ مُمْتَحِـــنٌ بأر بعـــة وكلهـــم ذوو أضغان
فَظٌّ، غليظٌ جاهلٌ مُتَمَعْلِـــمٌ ضَخْمُ العِمَامَةِ، واسعُ الأردان
مُتَفَيْهِقٌ، مُتضلِّع بالجهل، ذو ضلعٍ، وذو جَلَحٍ من العِرفان
مُزجَى البِضاعة في العلوم وإنه زاجٍ من الإيهـــام والْهَذَيان
يَشكُو إلى الله الحقوقَ تظلُّماً من جَهْلِه كشِكايَة الأبدان
من جاهلٍ متطبِّبٍ يُفتِي الوَرَى ويحيل ذاك على قضا الرحمن

وبعد ذا...

---

[1] المرجع السابق: ص: ٤٦.
[2] المرجع السابق: ص: ٨٠.
[3] المرجع السابق: ص: ٨١.

(فحرامٌ والله ثم حرامٌ على مَن لا يهتدي لدلالة آي القرآن، ولا يدري السنن والآثار أن يتسنم جناب العلم، ويحل في حرمه، معول هدم لحماه، وخرق لسياجه وأمته، وهذا هو المعثر المخذول، علمُه وبال، وسعيه ضلال، نعوذ بالله من الشقاء)[1].

كفى الله الإسلامَ والمسلمين شرَّ المتعالمين وخُبثهم، وقيَّض لهم من علمائهم الربانيين مَن يُقنِعون فِتَنَهم وبلاياهم... اللهم آمين.

أهم مصادر ومراجع البحث:

١- أخلاق العلماء: للآجري، أبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله،، تحقيق: بشير محمد عيون، دمشق: مكتبة دار البيان، ط٢، ١٤٣٠هـ.

٢- اقتضاء العلم العمل: للحافظ الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، تحقيق: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، بيروت: المكتب الإسلامي، ط: ٥، ١٤٠٤هـ.

٣- التعالم وأثره على الفكر والكتاب: للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد، الرياض: دار العاصمة.

٤- جامع الترمذي: للإمام الترمذي، أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ابن موسى، الرياض، دار السلام، ط١، ١٤٢٠هـ.

٥- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، [1] الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٤هـ.

٦- السلسلة الصحيحة: للشيخ الألباني، محمد ناصر الدين، الرياض: مكتبة المعارف،

٧- صحيح البخاري: للإمام البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن ردزبة الجعفي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط٥، ١٤٢٨هـ.

٨- المسند: للإمام أحمد، أبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٩هـ.

٩- مكارم الأخلاق: للإمام ابن أبي الدنيا، أبي بكر عبد الله بن محمد القرشي البغدادي، تحقيق: بشير محمد عيون، دمشق: مكتبة دار البيان، ط٢، ١٤٣٠هـ.

---

[1] أبو زيد، بكر بن عبد الله، التعالم وأثره على الفكر والكتاب، ص٣٣.

مواقع الشبكة العنكبوتية:

١٠- التعالم وآثاره الخطيرة على الأمة: للشبيخ صالح بن فوزان الفوزان، موقع سحاب السلفية، http://www.sahab.net

١١- صور التعالم: للشيخ بدر العتيبي، شبكة الإمام الآجري، http://www.ajurry.com

١٢-فضل العلم وخطورة التعالم: للشيخ محمد حسان المصري، موقع التوحيد، http://altawhed.yoo٧.com